

عيد الأضحى والحج.. احتفالية الأسرة المطيعة



السبت 10 أغسطس 2019 11:17 م

يهل علينا عيد الأضحى المبارك كل عام مع مناسك الحج خامس أركان الإسلام، لتعلمنا قيمة الأسرة المطيعة لربها المستسلمة لتعاليمه، المضحية من أجل المبادئ والقيم، وبذلك استحضت التخليد على مدى التاريخ والذكر الحسن عبر الأمم والأجيال، فنحن نتعلم كل عام بالحج وعيد الأضحى في رحاب مدرسة رائعة، أساتذتها أفراد أسرة عظيمة مكونة من أب وأم وابن مطيعين لرب العالمين، وهم إبراهيم عليه السلام وأمنا هاجر عليها السلام وابنهما إسماعيل عليه السلام.

مظاهر الطاعة في المدرسة

الفصل الأول: (مع الزوج الرائع والأب الطانع)..

فهو قائد الأسرة الذي جعل مهمته الأساسية في الحياة هي الدعوة إلى الله، فتارةً تجده في مصر، وتارةً تجده بالشام، وتارةً تجده بالحجاز، وشعاره الدائم «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينِ» (الصفات: 99) هو عنوان للرضا والتسليم الكامل لأوامر الله وإن بدت في ظاهرها صعبةً وقاسيةً، ولكن قلبه المؤمن الواثق على يقين بأن العز والفوز في طاعة الله.

فهو الزوج نعم الزوج، قائم على رعاية زوجته تعيش في كنفه، ويؤدي حقوقها ويقوم بواجباته نحوها.

وهو الأب نعم الأب، يحب الذرية والولد، ظل يدعو سنوات طويلة «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ» (الصفات: 100)، وحينما يُرزق بالولد الذي طالما اشتاق إليه على رأس ستة وثمانين سنةً من عمره تأنيه أوامر ربه أن يترك أسرته السعيدة في مكان فعر لا بشر فيه ولا مظاهر للحياة، ويذهب إلى مكان آخر للقيام بواجب الدعوة إلى الله، فيطيع ويمثل، ثم يؤمر بذبح ابنه الغالي بعدما شبَّ وترعرع فيطيع ويمثل.

وهو الذي يقود الأسرة بالحوار والإقناع والمشاورة والتفاهم وليس بالفرض والعنف، يناقش ابنه حتى في أمر الله «يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى» (الصفات: 102).

وهو الذي يقود الأسرة نحو البناء وصناعة الحياة ويحول أسرته إلى وحدة إنتاج، فهذا البناء الرائع المعظم عبر التاريخ (الكعبة المشرفة) هو نتاج أب وابن طائعين لله.

وهو دائم الدعاء والتضرع إلى الله بأن تنجح هذه الأسرة في أداء مهمتها: «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ بَيْتِي بَوَادِئَ عَجْرٍ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» (إبراهيم: 37).

الفصل الثاني: (مع الزوجة المطيعة الصابرة والأم الراحية)

فهي الزوجة التي تتميز بالحب والصبر؛ فهي تحب زوجها وتتمنى العيش في كنفه وتعلق بنبابه عندما بهم أن يتركها عند الحرم، ولكنها تطيع ربها وتصبر إذا علمت أن مصلحة دعوة الله وأوامره تغتضي ذهاب الزوج عنها وتركه الإقامة في كنفها وتقول له وانقعة راضية: اذهب فلن يصيغنا الله.

وهي الأم التي تتميز بالرعاية والغذاء: فسعيها بين الصفا والمروة الأشواط السبعة وقطعها هذه المسافات الطويلة رمز عظيم لرعاية الطفولة، وامتنالها لأمر الله بذبح ولدها وقرة عينها ومساندتها لزوجها ورحمها لإبليس حينما عرض لها يريد أن يضعف قلبها ويضرب على أوتار عاطفة الأمومة عندها يكشف عن معدن أصيل متصل بالله وعن مدرسة عظيمة في الغذاء بالأبناء التي علمت أمهاتنا الفضليات في فلسطين صناعة المجد عبر العمليات الاستشهادية وتقديم الأبناء في سبيل الله.

الفصل الثالث: (مع الابن الطائع الغدائي المبدع المجاهد المشارك في البناء وصناعة الحياة)

فهو الابن المشارك لأبيه في بناء الكعبة وصناعة الحياة، وهو الابن المطيع لأوامر الله البار بوالديه المستعد للتضحية والغذاء بنفسه في سبيل الله دونما تردد ولا إحجام: «يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» (الصفوات: 102) وهو الابن المبدع المبتكر، فكان إسماعيل أول من روض الخيل وهذبها واستعملها لخدمة الإنسان في شؤون الحياة، وكان ذا خبرة بالرماية وبزّي النبال والقدرة على الجهاد والانطلاق بأمر الله.

مظاهر تكريم الأسرة الطائفة:

خَلَدَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْمَالَ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الطَّائِفَةِ بِالْآتِي:

- بأن جعل الكعبة المشرفة التي قام على بنائها سيدنا إبراهيم بمعاونة ابنه إسماعيل محلّ تكريم طول الزمن وجعلها قبلة الصلاة للرسالة الخاتمة.

- كرّم الله موضع قدم إبراهيم عليه السلام الذي وقف عليه لبناء الكعبة بقرآن يُتلى إلى يوم الدين: «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» (البقرة: 125).

- وكرّم فعله بتسليمه بذبح ابنه بسنة الأضحية كل عام.

- وإقامة الحجيج في منى يومين أو ثلاثة يُعد احتفالية في صورة إقامة في المكان الذي كانت تقيم فيه هذه الأسرة العظيمة في الفترة التي أمرت فيها بذبح ابنها الغالي وكذلك رمي الجمرات؛ تخليدًا لفعل هذه الأسرة برجم إبليس الذي كان ينهاهم عن ذبح ابنهم، فقاموا برجمه عند العقبة الصغرى والوسطى والكبرى.

- السعي بين الصفا والمروة يُعد تكريمًا لفعل أمنا هاجر عليها السلام حينما كانت تسعى لرعاية ابنها.

- شرب ماء زمزم والتماس بركته العظيمة يُعد تكريمًا لأثر من أثار الأسرة المطيعة لله.

مظاهر الاستفادة وطرق التوظيف:

على مستوى الأسرة

أن نقوم بعمل احتفالية سنوية في أيام عيد الأضحى كل عام نسميها (احتفالية الأسرة) تجتمع فيها الأسرة: الزوج والزوجة (الأب والأم) مع الأبناء، فيعيدون قراءة واقعهم كل عام على ضوء المبادئ العظيمة التي عاشت بها أسرة سيدنا إبراهيم، ويتباحثون كيف يجددون حياتهم، وكيف يطوّرون طاعتهم لله عز وجل، وكيف يسعون لتطبيق تعليماته في المرحلة التي يمرون بها، وتضع الأسرة خطتها السنوية كل عام، انطلاقًا من هذه المحطة الإيمانية كلما مرّ عليها عيد الأضحى المبارك وكلما هلّت عليها نفحات الحج العظيمة.

على مستوى المؤسسات

أن تهتم المؤسسات المعنية بشؤون الأسرة، بجعل مناسبات التكريم الخاصة بالأسرة في هذا الموعد من كل عام في ظل هذه المبادئ العظيمة التي استقينها من هذه الأسرة الطائفة بدلاً من أن نجعل عيد الأسرة في ذكرى عيد الأم الأجوف من كل معنى والذي ينم عن هجران الأسرة، وتذكرها فقط مرة كل عام، فعيد الأضحى يمثل بجدارة (عيدًا للأسرة) بأكملها، فهو (عيد للأمومة) و(عيد للطفولة) وكذلك (عيد للأبوة) التي لا يحتفل بها أحد وينطلق من أصولنا وقواعد شريعتنا دون التشبه بالغرب.

على مستوى الأمة كلها

تعبئة الأمة لمناصرة قضاياها، وأن يكون هناك دور لكل فرد: فالأب قائد ورائد، والأم مساندة وصابرة، والابن فدائي ومبتكر.

على مستوى المؤسسات الإعلامية والصحفية

الترويج لمبادئ وقيم الأسرة بوسائل وطرق مبتكرة عبر النموذج الرائع لأسرة سيدنا إبراهيم، ففي مجال الطفولة - على سبيل المثال - لدينا رمزيات رائعة نستطيع توضيحها للناس:

فالأضحية احتفالية سنوية لغذاء الأبناء

الأضحية رمزيةً عظيمةً لقيمة الأبناء وقدرهم في نفوس الأسرة التي توقّر المال وتشتري الأضحية فداءً للأبناء كل عام الذين كانوا طبعًا لما أمر به إبراهيم في أول الأمر سيذبح واحدٌ منهم، ولكن جاء الفداء من السماء بعد الطاعة والتسليم ﴿وَقَدِّتَاهُ يَذِّبُ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: 107).

